فكانت نجاح الحملة الفرنسية بقيادة نابليون بونابرت فى غزو مصر والزحف عليها واحتلال القاهرة . كان ذلك صدمة للشعب المصرى ؛ لأنه طوال أربعمائة سنة من حكم المماليك تحت السيادة العثمانية، كانت النغمة السياسية التى استند إليها الحكم فى تبرير شرعيته أنه القوة التى لا تقهر ، أو بالتعبير العامى الدارج « سيف السلطنة طويل » ، وعبر عن هذا الغرور بالقوة والإعجاب بالذات تلك المقولة الشهيرة لأحد حاكمى مصر من المماليك عندما وصلت إليه أنباء العمارة الفرنسية : « أرجو أن توفقنى العناية الإلهية على سحق الفرنسيس والسلطان معاً » . إلى هذا الحد بلغت الثقة بالنفس « سحق الفرنسيس والسلطان » فماذا كانت نتيجة المواجهة ؟ كانت عجز السلطان وفرار مراد «بك » وهزيمة « ابراهيم » هزيمة مُخزية لأنها دلت على جهل الحاكمين بروح العسكرية الحديثة التى مثلها جيش نابليون الفرنسى، وانتهى بالهزيمة عصر « ليس فى الإمكان أبدع مما كان» .

تلك كانت الصدمة . أما التنبه فجاء أيضاً على أيدى الفرنسيين. وعلى الرغم من قصر الفترة التى قضتها الحملة الفرنسية فى مصر [١٧٩٨ - ١٨٠١ م] وهى لا تزيد عن السنوات الثلاثة ، شهد المصريون - مع التسليم بكراهيتهم